المحكم والمحيط الأعظم

وضع هذا المعجم أبو الحسن علي بن اسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده والمتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، وهو من علماء اللغة الكبار في الأندلس . ومعجمه هذا أكبر معجم وضعه علماء الأندلس في اللغة .

ولم يؤلف علماء الأندلس والمغرب معجماً في اللغة بعد ابن سيده ، وتركوا هذا الميدان للمشارقة .

سار ابن سيده في تأليف معجمه على نهج الخليل في كتاب العين ، كما فعل الأزهري في تهذيب اللغة سواء . فرتب الألفاظ فيه على الحروف حسب مخارجها . وقسمه الى كتب بعدد حروف الهجاء ، وقسم كل كتاب الى أبواب حسب أبنية الألفاظ . وأتى بالتقليبات المختلفة لكل مادة . وقد بينا طريقة الخليل ومبادئه حين كلامنا على كتاب العين . فنكتفي بما قلناه هناك .

على ان ابن سيده قد اختلف في محكمه عن الخليل والأزهري ، من حيث المنهج ، بالتنظيم والاختصار في ترتيب ألفاظ اللغة ضمن كل مادة مثل تقديم المجرد على صيغ المزيد ، والمفرد على صيغ الجمع دائماً وتجنب التكرار وغير ذلك . وقد وعد بذلك في مقدمة الكتاب وشرطه على نفسه في قوله : « إن كتابنا هذا مشفوع المثل بالمثل ، مقترن الشكل بالشكل ، لا يفصل بينهما غريب ، ولا أجنبي بعيد ولا قريب ، مهذب الفصول ، مرتب الفروع بعد الأصول ... هذا الى

ما تحلى به من التهذيب والتقريب ، والإشباع والاتساع ، والإيجاز والاختصار ، مع السلامة من التكرار ، والمحافظة على جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة[1] » . وراح ابن سيده يعدد السبل التي ركبها لتحقيق الشروط التي ألزم نفسه بها ، ويبينه مع الأمثلة[2] .

وهذه خطوة تنظيمية جديدة في تأليف المعجمات العربية كا الفضل في تحقيقها لابن سيده . ولكن صاحب المحكم لم يست الوفاء بشروطه دائماً في تضاعيف الكتاب . فقد نراه يضطرب ويخ ميزانه في ترتيب الألفاظ في كثير من المواد التي أورد فيها الألف عفو الخاطر ، وكيفما اتفق له الأمر ، كما كان الخليل يفعل في عين والأزهري في تهذيبه ، وسائر علماء اللغة في كتبهم المختلفة ، ولا - أصحاب كتب النوادر .

كان غرض ابن سيده من تأليف المحكم أن يجمع الثروة اللغ التي تفرقت في كتب اللغة الكثيرة التي ألفها العلماء قبله في المد السابقة ، وان يسلكها في كتاب واحد مع تصحيحها وتنسيقها . بيّن غرضه هذا في مقدمة الكتاب حين قال حكاية على لسان أبي الجيش مجاهد بن عبد الله العامري أمير دانية في الأندلس ألف له الكتاب : « فلما وضح له مكان الحاجة الى هذه الفصيحة ، الزائدة الحسن على ما أوتيه سائر الأمم من اللسن ،

(١) المحكم ١/٧ .
(٢) المحكم ١/٧ - ١٣ .

جمع الماظها ، فتأمل لذلك كتب رواتها وحفاظها . فلم يجد منها كتاباً مستقلاً بنفسه ، مستغنياً عن مثله مما ألف في جنسه ، بل وجد كل كتاب منها يشتمل على ما لا يشتمل عليه صاحبه[1] » . ثم قال بعد ذلك في موضع آخر من المقدمة : « ثم أمرني بالتأليف على حروف المعجم . فصنفت كتابي الموسوم بالمحكم[2] » .

وإذا كان كل كتاب من الكتب القديمة يشتمل على ما لا يشتمل عليه صاحبه ، كما يقول ابن سيده ، فما أحراه أن يضم ما حوته جميعاً بعضه الى بعض ، ويلم شعثه ، ويجمعه في كتاب واحد يغني عنها . وهذا الذي صنعه ابن سيده حقاً في محكمه مع التصحيح والتنسيق كما قلنا آنفاً .

ولتحقيق هذا الغرض رجع ابن سيده الى عشرات الكتب التي ألفت قبله في اللغة والنحو ، مثل كتاب العين وكتاب سيبويه في النحو ، وقد ذكر جملة من هذه الكتب في مقدمة الكتاب[3] ، وأشار الى بعضها في مواضع أخرى منه .

وقد عني ابن سيده في المحكم عناية خاصة بالنحو . ونرى مبلغ عنايته بالنحو الى جانب اهتمامه باللغة من كلامه في مقدمة الكتاب : « وجميع ما اشتمل عليه كتاب سيبويه من اللغة المعللة العجيبة ، الملخصة الغريبة ، المؤثرة لفضلها ، والمستراد لمثلها . وهو حلي كتابي هذا وزينه ، وجماله وعينه ... وأما ما نثرت عليه من كتب النحويين

(١) المحكم ٣/١ .
(٢) المحكم ٦/١ .
(٣) المحكم ١٥/١ .

المتأخرين المتضمنة لتعليل اللغة فكتب أبي علي الفارسي ... وكتب أبي الحسن ابن الرماني ... وكتب أبي الفتح عثمان بن جني[1] » .

وهذا شيء جديد نراه عند ابن سيده في محكمه ، ولا نراه عند الخليل في العين أو الأزهري في التهذيب أو غيرهما من أصحاب المعجمات إلا مصادفة واتفاقاً بين الفينة والفينة . أما ابن سيده فقد أراد ذلك ، وقصد اليه قصداً . ونرى أن السبب في هذا الأمر الجديد في دنيا المعجمات هو غلبة النحو والصرف على ابن سيده ، وسعة علمه فيهما . وقد صرّح بذلك في قوله في المقدمة : « وذلك أني أجد علم اللغة أقل بضائعي ، وأيسر صنائعي ، اذا أضفته الى ما أنا به من علم حقيق النحو ، وحوشي العروض ، وخفي القافية[2] » .

ولقد كان من آثار إتقان ابن سيده مسائل النحو أنه اتبع خطة جديدة خاصة في انتقاء ألفاظ اللغة ، وإيرادها في معجمه . وذلك أنه أعرض عن المشتقات القياسية المطردة في اللغة فلم يذكرها . وصرف ذهنه وأكبر همه الى القضايا السماعية التي لا تنقاس ، والى الصيغ الشاذة التي لا تطرد ، مثل شاذ النسب والجمع والتصغير والمصادر والأفعال والإمالة والأبنية والتصاريف والإدعام[3] كما قال في مقدمة الكتاب . فلهذا كان رجوع ابن سيده الى كتاب سيبويه في النحو والى كتب غيره من مشاهير النحويين في تأليف معجمه . ولهذا أيضاً قال في مقدمته : « وليست الاحاطة بعلم كتابنا هذا الا لمن مهر بعلم

(١) المحكم ١٥/١ .
(٢) المحكم ١٦/١ .
(٣) المحكم ١٠/١

صناعة الاعراب ، وتقدم في علم العروض والقوافي [١] » .

هذا وقد شعر ابن سيده بضخامة العمل الذي يقوم به ، وعظمة المعجم الذي ينجزه . وقد دل على ذلك في مقدمته وفخر به فخراً عريضاً . وحقّ هذا الفخر لابن سيده إذ كان معجمه عظيماً حقاً في استيعابه وضبطه وخطته الدقيقة في الترتيب . ولكنه مع ذلك استشعر في نفسه الضعف والنقص ، فقال في تواضع يشوبه الكبر بعد أن عدد مزايا معجمه والشروط التي التزمها في تأليفه : « ولا أنكر في كل ذلك أن تختل قضية بين خمسة آلاف ، أو حرف بين حروف عديدة أضعاف [٢] » .

على أن المراجعة في المحكم صعبة عسيرة كالمراجعة في كتاب العين وتهذيب اللغة سواء ، لان ابن سيده سار في تأليفه على نهجهما كما قلنا . فلم يلق إقبالاً من الناس لذلك . وقد أشرنا في هذا الشأن الى رأي ابن منظور في التهذيب للأزهري والمحكم لابن سيده الذي بينه في مقدمة معجمه لسان العرب ، وأوردناه بنصه في آخر كلامنا على التهذيب . فانظره هناك ففيه فضل بيان .

طبع المجلد الأول من المحكم في جزءين اثنين في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية سنة ١٩٥٨ ، الأول بتحقيق مصطفى السقا والدكتور حسين نصار ، والثاني بتحقيق عبد الستار أحمد فراج .

(١) المحكم ١/١٤ .
(٢) المحكم ١/١٦ .

س/ مميزات المحكم والمحيط الاعظم لابن سيدة
١- التنظيم والايجاز والاقتصار
- معرّى ثم الجمع
- مجرد ثم المزيد
منطق - الاصول ثم الفروع
الايجاز: اللفظ الواحد يدل على معان كثيرة
اما الاقتصار: فالاكتفاء بالعلامتين والشكل
٢- ترك التكرار
٣- جمع الثروة اللغوية المشتتة في كتب متفرقة
مثل الصحاح والغريبين وغيرها من الكتب اللغة
٤- الاهتمام بالنحو

س/ ما ذا الهم ابن سيدة على النحو
ج/ لديه عالم نحوي كبير
ج/ العقلية التنظيمية اراد نقطة التميز بنقطة اخرى

س/ الملامح السلبيات المحكم والمحيط لابن سيدة
ج/ صعوبة ايجاد الكلمة في المعجم
ج/ اضطراب المنهجي لدى لزم نفسه به في كثير من المواد

دراسات حوله :

أحب أكثر أصحاب المعاجم المتأخرين بالمحكم وأكثروا من الرجوع إليه ، بل اكتفى بعضهم بالجمع بينه وبين بعض الموسوعات اللغوية الأخرى فى تأليف معجماتهم . وأشهر من قبل ذلك ابن منظور (٧١١ هـ) فى لسان العرب ، وتاج الدين أحمد بن عبد القادر بن مكتوم (٧٤٩ هـ) فى الجمع بين العباب والمحكم ، ومجد الدين الفيروزآبادى ، فى اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب ، الذى أغرب عنه بعد أن أخرج خمسة مجلدات منه ليضع قاموسه المحيط ، وهو قائم على المحكم والعباب أيضا .

وألف أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بابن برجان (٦٢٧ هـ) ردا على ابن سيده بين فيه أغلاطه فى المحكم [1] .

(١) ابن الأبار : التكملة ٥٥٠ ، ٦٤٦ وقيل أيضا إن اسم ابن برجان هبة الرحمن بن عبد السلام .

الفصل الثالث

خصائص المدرسة وعيوبها

يؤلف العين والبارع والتهذيب والمحيط والمحكم وما دار حولها من كتب مدرسة واحدة فى تاريخ المعجمات العربية . والرابطة المشتركة التى تجمعها تؤيدها حروف المعجم بحسب مخارجها وجعل هذا الترتيب أساس تقسيمها إلى كتب ، ثم تقسيم هذه الكتب إلى أبواب تبعا للأبنية ، ثم ملء هذه الأبواب بالتقاليب . والترتيب جميعها ترتيب كتاب العين الخارج إلا البارع الذى سار على ترتيب مخالف أخذ أغلبه من ترتيب سيبويه مع خلطه بأشياء من ترتيب كتاب العين . ولعل كتاب الجيم لشمر بن حمدويه المروى من هذه المدرسة ، فقد أسسه على الحروف المعجمة وابتدأ بحرف الجيم فيما يقال . ولسنا ندرى سبب هذا البدء ولا بقية الترتيب ، إذ مضى به صاحبه ولم يقع إلى أحد من اللغويين إلا قطع منه [1] .

ومن الطبيعى أن لم تتحد هذه الكتب جميعا فى كل شىء ، بل اختلفت فى كثير من الوجوه ، وتطورت الأمور التى اشتركت فيها بين الكتاب الأول والأخير ، وحاول المتأخر منها أن يتخلص مما وقع فيه سابقه من عيوب .

فقد كان هدف الخليل حصر اللغة واستقصاء الواضح والغريب منها ، وهدف الأزهرى تهذيبها وتخليصها من الغلط والتصحيف (مما وقع فيه الخليل وابن دريد وغيرهما) ، وهدف ابن سيده جمع المشتت من اللغة فى الكتب المتفرقة وتصحيح ما فيها من أخطاء فى التعبيرات التحريرية . ويبدو أن هدف العالى يشبه هدف الأزهرى ، وأن هدف الصاحب بن عباد استدراك ما فات سابقيه من غريب .

(١) تهذيب اللغة ١ : ٢٥ .

المنهج :

وتطورت أسس القسم المشترك بينها ، فكان كتاب العين يحتوى على أربعة أبواب فى كل حرف : الثنائى المضاعف ، والثلاثى الصحيح ، واللفيف ، والرباعى والخماسى معا . وكانت الأبواب الأول والثالث والرابع تحتوى على صيغ مختلفة ، فحاول من بعده أن يخلصوها من هذا العيب : وأن يقصروا كلا منها على بناء واحد بما أمكنهم فجعل القالى ومن بعده الرباعى لمن الخماسى ، وأفردوا لكل منهما بابا ، وأفردوا من باب اللفيف الألفاظ الثلاثية المعتلة بحرف واحد وجعلوها فى باب خاص باسم الثلاثى المعتل . ولكن بقى باب اللفيف والثنائى المضاعف يحتويان على أخلاط وأوشاب ، حتى أظهر أبو بكر الزبيدى مختصر العين ، ففصل من الباب الأول الألفاظ الثنائية المضاعفة المعتلة وأفرد لها بابا ، وقسم كل مادة فى الباب الثانى إلى : المضاعف الثنائى ، فالمضاعف من فائه ولامه ، فالمضاعف من فائه وعينه ، ثم اتبعه فى ذلك كله ابن سيده .

وكانت حروف العلة من أسباب الاختلاف ، وتطور علاجها تطورا بارزا فقد جمع الخليل ما فيه حرف علة ، أو حرفان مع الهموز ، وخلطها كلها بعضها ببعض فى باب اللفيف ، ففصل القالى ما فيه حرف علة واحد (باعتبار الهمزة من حروف العلة) عما فيه حرفان ، ولكنه لم يفصل الهموز عن اليائى أو الواوى . وحاول الأزهرى فصل الهموز ، وافتخر بذلك ، ولكنه لم ينجح نجاحا تاما . وفصل الصاحب بينهما فى باب اللفيف فقدم المبدوء بالحرف الصحيح ، ثم ما أوله همزة ، ثم ما أوله واو ، ثم ما أوله ياء فى أكثر المواضع . ولكنه لم يفصل ذلك فى باب الثلاثى المعتل ، وخلط الأنواع كلها . وأخيرا نجح فى فصلها تماما أبو بكر الزبيدى ، وابن سيده تبعا له .

المآخذ :

وكان من أثر المنهج الذى سارت عليه هذه المدرسة أن وقعت فى بعض الأخطاء والمآخذ ، التى ظهرت بشكل بارز فى الكتب الأولى ، وحاولت الكتب الأخرى أن تتلافى منها كثيرا .

وأول هذه المآخذ صعوبة البحث فيها ، ومشقة الاهتداء إلى اللفظ المراد ، واستنفاد الوقت الطويل من الباحث ، بسبب الترتيب على المخارج والأبنية والقوالب . وكثيرا ما وقع المؤلفون أنفسهم فى أخطاء فى تلك الخطوات ، بوضع كلمة فى غير بنائها أو اعتبار حرف مزيد أصليا ، أو العكس ، أو ما إلى ذلك مما يستحيل معه على القارئ الوصول إلى طلبته .

ولعل تلك الصعوبة هى السبب الأول فى قيام المدرسة الثانية من المعجمات ، إذ أحس القدماء بها ، فحاولوا تيسيرها والتخلص منها ، قال ابن دريد — رأس المدرسة الثانية — فى مقدمة الجمهرة[1] : « قد ألف الخليل بن أحمد كتاب العين ، فأتعب من تصدى لغايته ، وعنّى من سما إلى نهايته . ولكنه رحمه الله ألف كتابه مشكلا لثقوب فهمه ، وذكاء فطنته ، وحدة أذهان أهل دهره ، وأملينا هذا الكتاب والنقص فى الناس فاش ، فسهلناه وعرّيناه ووطأناه شأوه » وقال ابن منظور من المدرسة الثالثة[2] : « لم أجد فى كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، ولا أكمل من المحكم لأبى الحسن على بن إسماعيل بن سيده . غير أن كلا منهما مطلب عسر المولك وسهل وعر المسلك ، وكأن واضعه شرح للناس موردا عذبا وحلائم عنه ، وارتاد لهم مرعى خريا ومنعهم منه ، وفرق الذهل بين الثنائى والمضاعف والمقلوب ، وبدد الفكر باللفيف والمعتل والرباعى والخماسى فضاع المطلوب . فأهمل الناس أمرهما وانصرفوا عنهما » .

وأبرز أحمد بن ولاد من أهل القرن الثالث مواطن الشكوى فى قوله[3] « كتاب العين لا يمكن طالب الحرف منه أن يعلم موضعه من الكتاب من غير أن يقرأه ، إلا أن يكون قد نظر فى التصريف ، وعرف الزائد والأصلى والمعتل والصحيح والثلاثى والرباعى والخماسى ، ومراتب الحروف من الحلق واللسان.

(١) ٣ .

(٢) لسان العرب ١ : ٢ .

(٣) السيوطى : المزهر ١ : ٤٦ .